



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدابِ الرَّافِدينِ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الثاني والثمانون / السنة الخمسون

محرم - ١٤٤٢هـ / أيلول ٢٠٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

P ISSN 1813-0526

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الثاني والثمانون السنة: الخمسون / مُحَرَّم - ١٤٤٢هـ / أيلول ٢٠٢٠م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف عبد العالي (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: المدرس الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.م. عصام طاهر محمد	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د. أسماء سعود إدهام	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلّق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيّة أو فرضيّات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتّبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثيّة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٢ - ١	هواجس بركات القومية في نصه الروائي رواية فقهاء الظلام نموذجاً أ.د. محمد جواد حبيب و م.د. حسين أحمد سيتو
٥٠ - ٢٣	أسماء الشخصيات في رواية الإعصار والمثدنة لعماد الدين خليل دراسة لغوية تحليلية أ.م.د. باسل خلف حمود
٧٠ - ٥١	بدر الدين العيني بلاغياً قراءة في كتابيه : (عمدة القارئ ، وشرح الشواهد الكبرى) أ.م.د. عبد القادر عبد الله فتحي
١١٤ - ٧١	الجدورُ الشرقية للرومانسية الغربية أ.م.د. فارس عزيز حمودي
١٣٠ - ١١٥	الموت في عينية متمم بن نويرة بين المواجهة والاستسلام أ.م.د. نصرت صالح يونس
١٦٢ - ١٣١	المعاني النحوية ونسيج النص، دراسة في قصيدة "يا أيُّها المُغتَابُنا" لعمر بن معدى كرب أ.م.د. عادل فتحي رياض
١٩٢ - ١٦٣	سؤال الهوية في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) أ.م.د. بشَّار نديم أحمد الباججي
٢٢٦ - ١٩٣	تنوع الإيقاع الزمعي في قصص يحيى الطاهر عبد الله القصيرة "ثلاث شجرات كبيرة تنمر برتقالاً" و"الدف والصندوق" أنموذجاً م.د. هيثم أحمد حسين المعماري
٢٤٠ - ٢٢٧	استراتيجية التلقي في قصيدة ترانيم قلبي الصغير للشاعر عمر السراي م.د. ريم محمد طيب
٢٧٦ - ٢٤١	سورة العنكبوت دراسة أسلوبية م.د. سلوى بكر حسين
٣٠٠ - ٢٧٧	تجليات السخرية في الأعمال السياسية لتزار قباني -العنوان أنموذجاً- م.د. وسن عبد الغني مال الله المختار
٣٣٨ - ٣٠١	أثر التأويل النحوي في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) م.د. وسام يعقوب هلال
٣٦٠ - ٣٣٩	دلالات الماء في شعر جميل بثينة م.د.جمانة محمد نايف الدليمي
٣٨٨ - ٣٦١	مناهج تحقيق النصوص دراسة مقارنة بين كتابي رمضان عبد التواب وصلاح الدين المنجد م.م. رعد ريثم حسين الحسيني
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٤٠٦ - ٣٨٩	موقف الحزب الشيوعي التونسي من التجربة الاشتراكية الدستورية ١٩٦٤-١٩٧٠ أ.م.د.سعد توفيق عزيز البراز

٤٤٦ - ٤٠٧	إعادة رسم الخارطة الإدارية للولايات العراقية ولولاية بغداد ١٨٦٩-١٨٧٢ أنموذجاً أ.م.د. لمى عبدالعزيز مصطفى
٥١٠ - ٤٤٧	منهجية السهمودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) في تدوين السيرة النبوية في كتابه وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى (ﷺ) أ.م.د. سائلة محمود محمد عبد
٥٣٢ - ٥١١	دور الخلفاء العباسيين في تحصين المدن الثغرية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م) أ.م.د. صفوان طه حسن الناصر وفراس يوسف إبراهيم
٥٥٦ - ٥٣٣	العلاقة بين الاقباط البشموور والولاة العباسيين في مصر (١٣٢-٢٢٧هـ / ٧٥٠م-٨٣١م) م.د. عمار حسون عبو العكيدي
٥٨٨ - ٥٥٧	موانئ ساحل بلاد الشام واهميتها الاقتصادية خلال فترة الحروب الصليبية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين والمصادر الصليبية م.د. قيس فتحي أحمد
٦١٨ - ٥٨٩	وظيفة التدريس في مدارس دمشق خلال العصرين الايوبي والمملوكي م.د. رياض سالم عواد
٦٤٨ - ٦١٩	الموقف الدولي من السيطرة المصرية على بلاد الشام ١٨١٣-١٨٤٠ م م.م. شفيق محمد محمود
بحوث الجغرافيا	
٦٦٦ - ٦٤٩	مؤشرات الأداء الاقتصادي الرئيسة وأثرها في قوة العراق ٢٠١٧ دراسة في الجغرافية السياسية م.د.نشوان محمود جاسم الزبيدي و م.م. حسين علي عران الجبوري
٦٨٨ - ٦٦٧	الحركة المكانية القسرية الوافدة إلى مدينة قره قوش للمدة ٢٠٠٣ - ٢٠١٢م باستخدام نظم المعلومات الجغرافية م.م. وسام عبد الله حسين و م.م. بدر عبد الرحيم محمود
بحوث علم الاجتماع	
٧١٦ - ٦٨٩	السلوك العاطفي بين الزوجين بحث ميداني في مدينة الموصل م.د. ابتهاج عبد الجواد كاظم
٧٣٢ - ٧١٧	ثقافة التعايش المشترك في المحلة العراقية دراسة تحليلية للتناقف المجتمعي بين الحاضر والمستقبل م. قصي رياض كنعان
٧٥٦ - ٧٣٣	مشكلات التعليم في المدارس الابتدائية الحكومية (دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل) م. ريم عبد الوهاب إسماعيل
٧٨٠ - ٧٥٧	زواج القاصرات- دراسة ميدانية في مدينة الموصل م.م. نسمة محمود سالم
بحوث الشريعة الإسلامية وأصول الدين	
٨١٦ - ٧٨١	حديث الإتيان رواية ودراية أ.م.د. عبد الله محمد مشيب الغرازي

٨٤٠ - ٨١٧	تفسير الصحابي للحديث وحجته عند الأصوليين أ.م.د. محمود شاكر مجيد
٨٥٦ - ٨٤١	اختيارات الإمام الشيرازي في دلالة عدد المأمور به في كتابه اللمع م. م عبدالجبار محمد أحمد
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس التربوي	
٩٠٠ - ٨٥٧	تدريس مادة الأحياء باستراتيجية الرؤوس المرقمة وأثرها في تنمية التفكير العلمي لدى طالبات الصف الخامس الاحيائي م.عبدالله محمد الرحو
بحوث الفلسفة	
٩٢٨ - ٩٠١	التناص في فلسفة نيتشه مفاهيم ونصوص مختارة م.د. هجران عبد الإله أحمد
بحوث المعلومات والمكتبات	
٩٤٤ - ٩٢٩	مدى المام هيئة التدريس في الجامعة التقنية الشمالية للوصول الحر للمعلومات (open access) م.م.خالد نوري عبد الله و أ.م.أمثال شهاب أحمد و م.فادية عبد الرحمن خالد

دلالات الماء في شعر جميل بثينة

م.د.جمانة محمد نايف الدليمي *

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/٨/٣٠

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٨/٣

المستخلص:

في الادب العربي كثيرا ما نجد مظاهر التعالق بين الطبيعة والشعر حاضرة وبكثافة، وربما يرجع ذلك الى البنية التكوينية للشخصية العربية وما أحاط بها من تأثيرات الطبيعة، فالعربي ينبثق من بيئته، لينطلق نحو افاق الكون الواسعة، وقد شكلت تلك التأثيرات هاجسا مسيطرا بشكل ما على تجاذبات العلاقة الجوهرية التي تربط العربي ببيئته، وإذا ما القينا نظرة على الشعر العربي فستصادفنا الكثير من رموز الطبيعة التي وظفها الشعراء في نتاجاتهم الأدبية قديما وحديثا، ولاستوقفنا مجموعة من البنى التي تتعالق وتتبادل التأثيرات لنتج بنية النص الشعري الذي يضي على العناصر المادية نوعا من الغموض فتتجسد دلالاتها رموزا، ذلك أن الانسان ينجذب بتركيبته نحو الغموض والابهام في محاولة للارتقاء بمضامين نصوصه نحو افاق بعيدة ومنح نتاجه الادبي مساحات واسعة للانتشار والتأثير في المتلقي، لينفتح فيما بعد على تأويلات لا حصر لها. وهذا البحث اذ يحاول الكشف عن دلالة الماء في شعر جميل بثينة انما يسלט الضوء على ذلك التعالق ومدى تأثر الشاعر العربي ببيئته وتوظيفه لها في مختلف حالاته الشعرية.

الكلمات المفتاحية: جميل بثينة_ دلالات الماء_ غزل

المقدمة:

يحتفظ الشاعر العربي بولاء للطبيعة، ويرتبط معها بعلاقة وجودية، يظهر ذلك بجلاء من خلال تأمله للموجودات من حوله، تلك التأملات التي يزخر بها شعره،

وتشكل ثوابت دائمة الحضور في نصوصه، في صورة تتلاشى معها الفوارق التكوينية لكل منهما فيتحدان ليكونا كلا متكاملًا يذوب أحدهما في الآخر ويكون انعكاسًا له. إن استجابة الشاعر لموجودات الطبيعة وتفاعله معها تمنح النص دلالات مكثفة وتضفي عليه الصفة الإيحائية الرمزية، ذلك أن توظيف عناصر الطبيعة في الشعر لا يمكن بحال من الأحوال أن ينبئ عن دلالات واقعية. إن حضور عنصر الماء في الشعر العربي شكل ظاهرة تستحق الدراسة، ذلك أنه يمنح النصوص دلالات عميقة، حسب ما تمليه تجربة الشاعر الخاصة، فتختلف تلك الدلالات وتباین بحسب ما تحمله تلك التجربة من انعكاسات نفسية على الشاعر بشكل مباشر.

إن دراسة الماء في شعر جميل بثينة، إنما هو تجسيد لعلاقة حوارية بين الإنسان والطبيعة التي من حوله، وجميل كما هو معلوم شاعر غزلي عذري وجل ديوانه شعر غزلي يصف فيه حالات العشق ودرجاته وأطواره المتمثلة بثنائيات الوصل والجفاء، والخيانة والوفاء، والقرب والبعد، وغيرها من الحالات التي يعيشها العاشقون. وقد وظف الشاعر الماء لتجسيد هذه الحالات في بعض قصائده التي سنأخذها بالدراسة في هذا البحث.

اقتضت طبيعة النصوص التي استثمر فيها الشاعر عنصر الماء أن يقسم البحث على محورين، المحور الأول: سلب الضوء على الدلالة النفسية لتوظيف عنصر الماء في شعر جميل من خلال ما عكسته حالته العاطفية وطبيعة العلاقة المتذبذبة التي أطرت حبه لبثينة، أما المحور الثاني: فركز على الدلالة الوصفية، من خلال توظيف الماء رمزا لرسم ملامح الحبيبة، ذلك أن جميل كان ينظر إلى محبوبته وعلاقته بها نظرة تقديس.

أولاً: البعد النفسي: جدلية الوصل والجفاء

إن فعل التعبير يرتبط وجودياً بالانفعال والاثارة النفسية على الصعيدين الذاتي _الشاعر_ والآخر _المتلقي_ فتكون أحياناً مصدر جماليته وتميزه، ذلك أن الشاعر يعبر عن تفاصيل الكون من خلال ذاته المنفردة المتميزة، حين تحس به وتجسده، وتتألق بالتفاعلات الخاصة التي تعكس الكون على مرآته، ثم بالتأثير الذي يحدثه إذ يستثير في نفس قارئه انفعالا فيحثه على إعمال التفكير في نطاق عوالم جديدة، أو تجربة أحاسيس

جديدة. ويأخذ الإيحاء في التعبير عن موقف الشاعر النفسي حيزا كبيرا ودورا مؤثرا ويعد عنصرا أساسيا من عناصر تحول التجربة الشعرية.

قد تتغير مظاهر الطبيعة تكوينا في فترات متباعدة أما الذي يتغير باستمرار هو زاوية النظر إليها، ذلك ان تلك الزاوية تتغير أبعادها واتجاهاتها تبعا للوضع النفسي الغالب على الشاعر في لحظة الابداع. فإذا ما شرعنا بدراسة الطبيعة فمن غير الممكن ان تكون دراسة مستقلة عن الانسان إنما تكون " دراسة العلاقات أو الحوار بين الانسان والطبيعة التي هي من حوله، ومن خلال هذا الحوار تكتمل الطبيعة بمعرفة الانسان لها وان الانسان يكتمل بمعرفته للطبيعة فهناك تعامل جدلي بينهما"^(١).

إن للماء قدسيته التي تميزه عن باقي مكونات الطبيعة، فقد ذكرته الاساطير بأنه ايقونة الوجود إذ " تكاد تجمع أساطير العالم على أن الماء هو أصل نشأة الكون والاحياء؛ ذلك أن الناس في الجاهلية كانوا يرون في المطر والسحاب والرعد والبرق قوى من قوى الكون الخفية التي يعبدونها"^(٢). واستمرت النظرة التقديسية للماء على مر العصور فقد " كان العرب في فجر تاريخهم البعيد ينظرون الى الماء نظرة تقديس، لأنه مورد الخصب والنماء، وواهب البركة والخير"^(٣).

شكل الماء بتجلياته المختلفة حضورا فاعلا في شعر جميل بثينة، وقد وظفه الشاعر بحالاته المتنوعة من خلال رفده بالدلالات التي يريد بث مشاعره فيها. وأول ما يطالعنا من تجليات الماء السحاب، تحمل السحابة أكثر من دلالة رمزية، وتحث بعدا إيحائيا مهما في الشعر العربي، وقد وظفها شعراء الغزل في نتاجهم الشعري فراحوا يصورونها تحمل المشاعر المتراكمة التي لم تبح بها الحبيبة، وهي متعلق عيون الشاعر

(١) جدلية الانسان، المكان، الزمان، مضر خليل عمر، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد (٤٠)،

٢٠٠٩: ١٨.

(٢) رمز الماء في الادب الجاهلي، ثناء انس الوجود، مصر، مكتبة الشباب، ١٩٨٦: ١٨.

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، بيروت، لبنان، دار الارشاد للطباعة والنشر

والتوزيع، ط١: ٤٣.

الذي ينتظر منها القطر لإرواء عطشه، فمن خلالها يطرح الشاعر معنى من المعاني المرتبطة بخصب الحياة ونماءها، فإذا أمطرت فقد روت عطشه ورفدته بكل مقومات حياته، وإن لم تمطر فسيصيبه الصدى. فالسحابة تحمل من معاني الحياة والبعث ما يضيف على دلالاتها نضوجا. فالشاعر يبذل هذا في سبيل ان " يحقق التكامل بين نفسه وبين الاشكال الأساسية للعالم الطبيعي وإيقاعات الحياة. ان الشاعر اذ يندمج في الأشياء يضيف عليها مشاعره"⁽⁴⁾. يقول جميل في وعود بثينة التي لم تتحقق من قصيدة يعاتب فيها بثينة التي تخلفت عن لقائه مرة مخلفة وعدها⁽⁵⁾:

- يا صاح، عن بعض الملامة أقصر،
- وإن المنى للقاء ام المسور
- وكأن طارقها، على علل الكرى
- والنجم، وهنا، قد دنا لتغور
- يستاف ريح مدامة معجونة
- بذكي مسك، أو سحيق الغنبر
- —————
- إني اليك، بما وعدت، لناظر
- نظر الفقير إلى الغني المكثر
- تقضى الديون، وليس ينجز موعدا
- هذا الغريم لنا، وليس بمعسر
- ما انت والوعد الذي تعديني
- الا كبرق سحابة لم تمطر

إن انتقاء المفردات التي توظف دلالات الماء في تشكيل النص وبث الصور والانفعالات في تكوين معمار القصيدة النفسي والدلالي يضعنا امام استثمار السحابة بوصفها تشكيلا أساسيا في انتاج الماء فقد وظف جميل السحابة رمزا ذا دلالة خاصة تنبئ عن وعود الحبيبة ومدى صدق تلك الوعود إذ " تظهر هذه الدلالة في غزل العذريين بصورة خاصة، فصاحبة جميل بثينة تقارن في قلة وفائها وإخلافها الوعد بسحابة تلتصق فتصور للناظر انها تنبئ بمطر غزير، الا ان الانتظار لا يجيء بعده مطر ولا ري، فهو وعد كاذب كالسحابة الخاوية التي لا تدر بالرغم من طول الانتظار"⁽¹⁾. ويمكن ان يرمز

(4) التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، القاهرة، مصر، مكتبة غريب، ط٤، د.ت: ٥٧.

(5) ديوان جميل بثينة، بيروت، لبنان، دار صادر: ٦١.

(1) ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، حسن جبار محمد شمسي، لندن، بريطانيا، دار السياح،

مرور السحابة فوق سماء الشاعر دون أن تقطر أو تمطر لتروي عطش حبه إلى عقم هذا الحب، ووصف الشاعر لمنظر السحابة وهي تلوح ببرقها ينبئ عن التوق الى وصال الحبيبة، إلا أن عبورها فوق سمائه دون مطر يحيل الوصال الى تقطيع أوامر المودة.

في مشهد اخر يتساءل الشاعر عن إمكانية ارتواءه بشرية من المزن، في دلالة ضمنية الى طلب لقاء الحبيبة، التي يتعطش لوصلها، يقول⁽²⁾:

- هل الحائم العطشان مسقى بشريه من المزن تروي ما به فتريح؟
- فقالت: فخشى ان سقيناك شربة تخبر اعدائي بها فتبوح
- ان فباحتي المنايا وقادني الى أجلى غضب السلاح سفوح
- لبئس اذن مأوى الكريمة سيرها واني اذن من حبكم لصحيح

إن حالة من العطش تتناب الشاعر عاطفياً، يستثمر فيها ثيمة الماء الذي تنزله المزن لإرواء زهرة الحب المتجذرة بداخله، وكأننا بالشاعر يعيش حالة تأزم قد تصل به للموت، إن لم يسعفه وصل الحبيبة الذي شبهه بالماء الذي ترسله المزن للأرض فتحيا به، وقد شكل الشاعر صورته وهو " يستمد في تشكيله لها عناصره من (عينيات) ماثلة في المكان وكأنه يصنع بذلك نسفاً خاصاً للمكان لم يكن له من قبل"⁽¹⁾.

إن العلاقة التكاملية بين البيئة المادية واللغة التعبيرية الشعرية شكلت ملمحاً خاصاً ومميزاً لشعر الغزل العذري ومن هنا فإن "غمامة جميل بثينة وكثير عزة أصبحت رمزا لموضوع نفسي عباً الشعراء فيه كل تناقضات النفس واضطراباتهما، والسحابة صارت معادلاً موضوعياً لحب مفقود، وامل يلوح في افق النفس ولكنه كالسراب"⁽²⁾.

شكل الماء منذ القدم مصدر ابهار واحيط بقدسية خاصة وحمل من معاني الحياة والخصب والنماء ما هيأه ليكون مادة خصبة للإيحاءات الشعرية وقد اتخذ الشعراء رمزا تتجسد فيه جماليات النص الشعري ذلك أنه يعكس دلالات متفردة عند المتلقي ويمنح

(2) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ٣٢.

(1) التفسير النفسي للادب، مصدر سابق: ٥٨.

(2) ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، مصدر سابق: ٨١.

النص ابعاذا متعددة وهذا النص " يحوم حول رمز الماء، والماء والسحابة يرمزان الى دلالة واحدة، هي دلالة الخصب وهنا حمل الماء رمزا جديدا له علاقة مباشرة بالحرمان العاطفي الذي يعيشه الشاعر، فهو كالطائر الضامئ الذي يرد حياض الماء فيمنع من الوصول اليه ولكن قسوة العطش تدفعه - بفعل القوة المانعة- الى تأمل الماء واصوات السقاة عله ينال شيئا منه، المعنى هنا يدل على شعور بانكسار تجربة الحب عند الشاعر، فلم يعد يستطيع فعل شيء، فلا هو بالقادر على الوصول الى الماء- وهو رمز واضح للمرأة الحبيبة- ولا هو بالقادر على التخلي عنه، وكما هو واضح فان الشعور بالحرمان قد اقترن بقلق واضطراب داخلي، فتحوّلت رموز السحابة والمطر من دلالتها على الخصب الى دلالات أخرى مغايرة كان ابرزها الدلالة الجمالية والنفسية⁽³⁾.

شكلت لوحة الصدىئ ثيمة لافتة أثرت دلالات شعراء الغزل العذري تجلت عبر نصوصهم الشعرية لإظهار السمة الفلسفية التي تبين عمق الشعور بالحاجة الى وصل الحبيبة لتروية ذلك الحب الذي يأمل باستمرار ان يكون بعيدا عن الجفاف الذي يفضي بدوره الى التصدع والموت، ومن هنا فإن الشاعر يعيش حالة من القلق تغذيها احتمالية تصدع هذا الحب العظيم وموته بسبب الجفاء باحثا عن ما يروي عطشه وبهذا تكون "المرأة تشبه السحابة فيتحولان الى رمز تتناظر فيه المرأة مع السحابة، وكأنهما شيئا يمنحان الحياة ويدلان على خصوبة مضطربة، فكما ان الحياة في الصحراء تموت دون سحاب ونبت، فإنها تضطرب وتختل دون امرأة وتجدد حياة"⁽¹⁾. وكان كثيرا ما يصف هذا الشعور بين ثنايا نصوصه، فهو يعيش حالة نفسية سيئة، لا يجد غير القلق رديفا وصاحبا. ويقول في هذا المعنى، من قصيدة له بعنوان، أصلي فأبكي⁽²⁾.

- أرى كل معشوقين غيري وغيرها
- وأمشي وتمشي في البلاد كأننا
- أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها
- يلذان في الدنيا ويغتبطان
- أسيران للأعداء مرتهنان
- لي الويل مما يكتب الملكان

(3) م.ن: ٨٠_٨١.

(1) ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، مصدر سابق: ٨١.

(2) ديوان جميل بثينة: ١٣٢.

- ضمنت لها أن لا أهيّم بغيرها
- يا عباد الله قوموا لتسمعوا
- يعيشان في الدنيا غريبين أيّما
- وما صاديات حمن يوما وليلة
- لواغب، لا يصدرن عنه لوجهة
- يرين حباب الماء والموت دونه
- بأكثر مني غلة وصبابة
- وقد وثقت مني بغير ضمان
- خصومة معشوقين يختصمان
- أقاما وفي الأعوام يلتقيان
- على الماء يغشين العصي حواني
- ولا هن من برد الحياض دواني
- فهن لأصوات السقاة رواني
- اليك ولكن العدو عدائي

يعكس هذا النص وضعا نفسيا مريرا يعيشه الشاعر تؤطره رغبة الشعور بالاستقرار بيثها عبر لوحة طبيعية يحدها الماء من جميع اتجاهاتها، ولكن حضور الماء في هذه اللوحة ليس حضور ارتواء وإنما حضور عطش، فالشاعر يشبه حاله مع محبوبته كحال النياق شديدة العطش اعياءها السير الطويل وهن من شدة الاعياء لا يقدرن ان يردن الماء وترنو انظارهن الى السقاة على أمل ان يروين عطشهن ذلك " أن من دواعي الاستثارة في الشاعر العذري وهو يعبر عما يحس بفقدانه هو الحرمان من المرأة، لأنه يجد في القرب منها والارتواء من شفائها وأحضانها إشباعا لرغباته، وإرضاء لنوازعه، وإطفاء لحرقه، ومن ثم إطفاء للوقدة الأدبية الشعرية"⁽¹⁾. ثم يعقب قائلا ان حاجته لوصل حبيبته لأكثر من حاجة تلك النياق للماء، ذلك المزج بين حزن الشاعر ولهفته لوصل محبوبته وبين عنصر الماء حقق إبحاءً ذا تأثير نفسي مثقل بالهموم التي بثها صراحة في ابياته الأولى من النص، مستحضرا طقسا دينيا مقدسا متمثلا بالصلاة التي يؤديها باكيا من فراق محبوبته، مستكرا على ذاته هذا العمل. ولكن شوقه قد غلبه. فالنياق يمكن ان تكون المعادل الموضوعي للشاعر الذي أعياء السير الى محبوبته يقاسي العطش ويروم وصلا يرويه، ولا يقبل الرجوع الا بعد الارتواء، فهو يدور في فلك حبيبته الى ان يرتشف منها الوصل " هذه الصورة / المشهد يرمز رمزا دالا على الرغبة في لقاء الحبيبة والوصال معها، دون تفكير في العواقب الخطيرة التي يمكن ان تنتج عن

(1) نقد الشعر في المنظور النفسي، ريسان إبراهيم، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩: ٧٤.

ذلك، فالشاعر العاشق لا يقدر على البعد والفرق وعدم النظر الى حبيبته⁽²⁾. لأنه يصعب عليه ذلك فيكون في حال لا تسر عدوا ولا حبيبا.

تتسبب حالة الظمأ اغلب شعر جميل، في دلالة على قلة وصل الحبيبة أو انعدامه في أكثر الأوقات، فيوظف لفظ الصدى لتجسيد هذا الشعور الذي يسيطر عليه، فيشكل صورة تكون بمثابة إطار عام لما يشعر به. يقول⁽³⁾:

- رحل الخليط جمالهم بسواد
- وحدا على إثر الحبيبة حاد
- ما ان شعرت ولا علمت بينهم
- حتى سمعت به الغراب ينادي
- لما رأيت البين قلت لصاحبي
- صدعت مصدعة القلوب فوادي
- بانوا وغودر في الديار مقيم
- كلف بذكرك يا بثينة صاد

يتكئ النص على تفصيطة الرحيل والفرق التي صدعت قلب جميل وتركته يشكو شغفه، وقد وظف الشاعر لفظة الصدى، لأنها تقع بشكل مباشر على الحالة الشعرية التي يحاول الشاعر بثها دون تكلف عناء التأويل، ومباشرة المعنى بهذه الصيغة يتعمدها الشاعر الذي في مثل وضع جميل ليكون الشعور الذي ينقله للمتلقي ماثلا لمداركه بطواعية. إذ أن رحيل المحبوبة سيرافقه حالة من الظمأ المستمر يكابدها الشاعر في المستقبل المنظور. وقد عمد الشاعر لتوظيف مفردة الصدى ليصرح عن مدى عطشه لوصل الحبيبة الذي يسقي روحه التي تنتوق للوصل.

وإذا ما طالعنا الوجه الاخر للماء نلفي الحزن حاضرا وبشدة من خلال توصيف الشاعر لانهمار دموعه التي رافقت قصة حبه العقيمة، فهو لم يلقَ من حب بثينة من الفرح ما لاقاه من الحزن والفرق. يقول⁽¹⁾:

- الى الله اشكو ما الاقي من الهوى
- ومن حرق تعادني وزفير
- ومن كرب للحب في باطن الحشا
- وليل طويل الحزن غير قصير

⁽²⁾ رمزية الماء في التراث الشعري العربي، الشارقة، الامارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة والاعلام، ٢٠١٥: ٩٣-٩٣.

⁽³⁾ ديوان جميل بثينة: ٤٦.

⁽¹⁾ ديوان جميل بثينة: ٦٦.

• سَابِكِي عَلَى نَفْسِ بَعِينِ غَزِيرَةٍ بَكَاءُ حَزِينٍ فِي الْوَثَاقِ اسِيرٍ
ويقول في نص آخر (2):

• لَاحَتْ لَعِينِكَ مِنْ بَثِينَةِ نَارٍ فِدْمُوعَ عَيْنِكَ دَرَّةً وَغَزَارٍ
• وَالْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ تَأْتِي بِهِ وَتَسُوقُهُ الْإِقْدَارُ
وفي نص ثالث يصف ما فعله رحيل بثينة بقلبه وكيف أنه يحاول ان يتماسك ولكن عيناه تعصيانه فتتصرف دموعها(3).

• لَقَدْ أَوْرَثْتَ قَلْبِي وَكَانَ مَصْحَا بَثِينَةَ صَدْعَا يَوْمَ طَارَ رِدَاؤُهَا
• إِذَا خَطَرْتَ مِنْ ذِكْرِ بَثْنَةَ خَطَرَةٍ عَصْتِي شُؤُونَ الْعَيْنِ فَاَنْهَالِ مَاؤُهَا
• فَانْ لَمْ اَزْرَهَا عَادَنِي الشُّوقُ وَالْهُوَى وَعَاوُدِ قَلْبِي مِنْ بَثِينَةِ دَاؤُهَا
• وَكَيْفَ بِنَفْسِ أَنْتِ هَيْجَتِ سَقْمَهَا وَيَمْنَعُ مِنْهَا يَا بَثِينَ شِفَاؤُهَا
• لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَجُودِي بِنَائِلٍ فَاخْلَفَ نَفْسِي مِنْ جِدَاكَ رَجَاؤُهَا

وردت دلالة البكاء في شعر جميل بثينة بشكل لافت وبصور مختلفة، يستثمره بين ثنايا مشاهد قصة حبه، ويضمنه كل ذكر لمحبيبته، فقد غلب على حبه الحزن، والفراق، والشوق " إن هذا الحرمان والعناء بمثابة الجذوة التي توجج التجربة الشعرية عند الشاعر العذري، ولهذا كان شاعر الحب العذري دائم العطاء يذوب في عطائه صوت الأنا المادي، ويتوحد في قيمة إنسانية تمثل أعلى صور التضحية والمكابدة من أجل الروح، فهي صراع بين الروح والمادة، ولهذا نجد الجهاد عند جميل جهاد الحب"(1). ودلالة ذلك قوله من قصيدة طويلة بعنوان (يموت الهوى مني)(2).

يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأي جهاد غيرهن أريد

(2) م.ن: ٦٨.

(3) م.ن: ١٣.

(1) شرح ديوان جميل بثينة، مهدي ناصر الدين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣: ٢٧.

(2) ديوان جميل بثينة: ٤٠.

ونتيجة لحبه العقيم فقد لاقى جميل لوما وعتابا من محبيه، ناصحين إياه بترك حبه لبئينة والابتعاد عنها وممارسة حياته بدونها ليظفر بالاستقرار ويجد السعادة التي يمنعه هذا الحب من الإحساس بها. يقول في هذا المعنى⁽³⁾:

- وعاذلين الحوا في محبتها
- يا ليتهم وجدوا مثل الذي اجد
- لما أطالوا عتابي فيك قلت لهم
- لا تكثروا بعض هذا اللوم واقتصدوا
- قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه
- مرقش واشتظي من عروة الحمد
- وكلهم كان من عشق منيية
- ان لاحتسب او قد كدت اعلمه
- ان لم تتلني بمعروف تجود به
- ان سوف توردي الحوض الذي وردوا
- او يدفع الله عني الواحد الصمد
- فما يضر امرا أمسى وانت له
- ان لا يكون من الدنيا له سند

ينبني النص هنا على الايمان بفكرة الهلاك المحتوم الذي يعلم جميل انه سيدركه من حبه لبئينة، فيسوق امثلة لرجال قضوا نتيجة عشقهم الذي لم يستطيعوا نيله، إلا أن ما يثير الانتباه ذلك الاستسلام لهذا القدر المحتوم، ولعل محاورته مع ابيه لهي دليل على ذلك الاستسلام، فقد عاش جميل حالة من الحرمان العاطفي تجسدت بزواج محبوبته من رجل آخر، فحاول من حوله ان يثوه عن حبها، ولم يكفوا عن محاولاتهم إقناعه بتركها وممارسة حياته بعيدا عنها، ولكن وله جميل ببئينة كان يحول دون ذلك وقد وصل به الحال من ضرر ذلك الهوى ان قال له ابوه: " حتى متى أنت عمه في ضلالك، لا تأنف ان تتعلق بذات بعل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل، ثم تقوم من تحته إليك فتغرك بخداها، وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلاها ما تضمه الحرة لمن ملكها، فيكون قولها لك تعليلا وغرورا، فإذا انصرفت عنها عادت الى بعلاها على حالتها المبدولة... إن هذا لذل وضيم، ما أعرف أخيب سهما ولا أضيع عمرا منك، فأشذك الله إلا ما كفت وتأملت أمرك؛ فإنك تعلم أن ما قلته حق، ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها، ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له، وفي النساء

(3) م.ن: ٤٥.

عوض^(١). وهكذا كان جواب جميل لنصيحة أبيه، فقال له: إنَّ الرأي ما رأيت والقول ما قلت، ولكن! هل رأيت قبلي أحدًا قدر أن يدفع قلبه هواه؟ أو ملك أن يسلي نفسه؟ أو استطاع أن يدفع ما قُضي عليه؟ والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها من عيني لفعلت، ولكن لا سبيل إلى ذلك، وإنما هو بلاء بلّيت به لحين قد أتيت لي، وأنا أمتنع من طروق هذا الحي والإمام بهم ولو مت كمدًا، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه^(٢).

تتجلى في هذا الحوار العاطفة الجياشة المسيطرة على جميل وتحول بينه وبين الحياة السوية الخالية من الضغوطات النفسية والقلق المتواصل، تلك العاطفة التي ترقى لمستوى "مكابدة روحية ذات قيمة إنسانية سامية، بيد أنها تتحول الى حالة مرضية حادة بسبب الحرمان والقهر، تستنزف طاقة العاشق، وقد تقعه أحياناً عن أي نشاط خارجي".^(٣)

يقول في وصف حالته النفسية جراء حبه العقيم لبثينة^(٤):

- لقد ذرقت عيني وطال سفوحها
- واصبح من نفسي سقيما صحيحها
- انا لئتنا نحيا جميعا وان نمت
- يجاور في الموتى ضريحي ضريحها
- فما انا في طول الحياة براغب
- إذا قيل قد سوي عليها صفيحها
- اظل نهاري مستهما ويلتقي
- مع الليل روي في المنام وروحها
- فهل لي في كتمان حبي راحة
- وهل تنفعني بوحه لو ابوحها

تلك المعاناة التي عاشها الشاعر مزجها بعناصر الطبيعة وبصورة خاصة بالماء بمختلف تجلياته، ليبعث الحياة والامل في حبه المحاط باليأس، ويكسر ذلك الجفاف الذي يخيم على قصة عشقه، ليمنح ذاته والمتلقي جرعة أمل تنمي عالمه ف " واقع الامر ان متعة

(١) جميل بثينة، عباس محمود العقاد، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣: ٤٧.

(٢) م.ن: ٤٨.

(٣) الغزل العذري، يحيى الجبوري، القاهرة، مصر، دار البشير للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥: ١٧.

(٤) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ٢٩.

المتلقي تحصل من محاكاة الطبيعة وان كانت مباشرة؛ لان إدراك الشاعر لعلاقات المشابهة وانفعاله بها وتنظيمه إياها وتحويله لأجزائها ومجانسته بين عناصر تركيبها في الطبيعة يمنح العمل الفني اثرا جماليا يظهر بكل وضوح على مستوى المبدع والمتلقي⁽¹⁾.

إن الماء بوصفه قيمة مطلقة، يرتبط بالخلق والانشاء الكوني والمادة الأولى التي خلق منها كل شيء حي. ورمزية الماء غالبا ما نجدها في شعر جميل بثينة فرصة للخيال الغني بالصور الشعرية والاحلام لان العشق والجمال يستمدان قوتها وحضورهما في الدواخل النفسية للشاعر "فالاحلام الجيدة هي التي تربط الحلم بالطبيعة، اذ يستحيل تحقيق أحلام عميقة مع الأشياء المصنوعة، والشاعر الحق حين يبدا الكلام عن المرأة تسوقه دينامية الخيال الى الحديث عن الماء ليضفي الشمولية والغنى والكمال على تجربته الشعرية"⁽²⁾.

وفي خضم توظيفه لعنصر الماء في توصيف حالات عشقه لحبيبته يطالعنا نص تختلف فيه دلالة الماء عما سبقها من دلالات، تظهر فيها حالة من الغضب يسوقها الشاعر من خلال رمز الماء بحالتين تتافي احاهما الأخرى، يقول⁽³⁾:

- رد الماء ما جاءت بصفو ذنائبه
- ودعه إذا خيضت بطرق مشاربه
- أعاتب من يخلو لدي عتابه
- واترك من لا اشتهي، وأجانبه
- ومن لذة الدنيا، وان كنت ظالما
- عنائك مظلوما، وانت تعاتبه

في هذا النص وظف الشاعر عنصر الماء وجعله مقابلا للحب لأن الحب والماء يشتركان في صفة النقاء، ولكن الحالة التي يظهر فيها عنصر الماء في هذا المقام لا

(1) التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، بسام إسماعيل عبد القادر صيام، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب، الجامعة الإسلامية، غزة، بإشراف: د.عبد الخالق محمد العف، ٢٠١٧: ٣٢.

(2) شاعرية الماء والحياة النفسية، بحث في رموز الخيال من المياه المقدسة الى المياه المبتذلة، زهير مناصفي، مجلة الفكر العربي، مج(١٦)، ع(٨٢)، ١٩٩٥: ١٥٣_١٥٤.

(3) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ١٩.

تشي بالنقاء بل على العكس تماما ذلك أن" التمعن في هذه الابيات ومحاولة فهم دلالاتها يقود حتما الى القول ان جميل يظهر بعض الغضب على حبيبه فيعاتبها عتابا صريحا وواضحا لأنه يدرك ان هذا العتاب سيكون سببا في تراجعها عن فعلها او سلوكها، فالذنائب وهي جمع ذنوب وتعني الدلة العظيمة التي اذا ما خلطت مع بول الابل وبعرها فان الماء لا بد سيكدر ويتلون ويصير غير صالح للاستعمال، وبذلك فان أي حب حقيقي اذا ما تأثر بأي شيء سلبي يؤثر في قوته واستمراريته في الزمان، فانه سيصير لا محالة كرها او اقرب منه^(١). ففي هذا المقطع ثمة ما نعص على العاشق عشقه، وكدر صفو محبته، وعلى الرغم من هذا الكدر الا ان الحب الصادق يطفو على السطح ويحمل جميل على التغزل بحبيبه ووصفها بأجمل الاوصاف.

وفي نص آخر تظهر صورة الماء الكدر بدلالة أخرى جديدة ومتفردة، وقد كان النقاد القدامى عابوا على جميل هذا التوصيف، يقول^(٢):

- واني لا ستحيي من الناس ان أرى رديفا لوصل او علي رديف
- واشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف
- واني للماء المخالط للقدى إذا كثرت وراده ليعوف

وتطفو على سطح النص دلالة الغضب الممزوج بالحزن والعتاب فوصف الشاعر مر ما يشعر به من خلال حالة من حالات الماء تجسدت في الكدر التي تصيب الماء اذا خالطه شيء فيفقد طهارته ورونقه وصفاءه، وكذا الحب ان كان قد شابه اية شائبة فانه يفسد كما يفسد الماء، ولكن جميل "من اجلها أيضا يستطيع الشاعر شرب الماء الكدر والملون على ان ترضى بوصله وإبقاء حبه له واهتمامها به دون نسيان منها او تجاهل حتى ولو كان هذا الوصل ضعيفا، وهذا يمكن نعته بالحب القوي المنعكس على شخصية الشاعر المحب العاشق والذي يجبل على الهدوء النفسي والراحة والسعادة الأبدية، فالماء الكدر والملون لا يمكنه الا أن يكون كالعسل او افضل منه في حالة دام وصل الحبيبة

(١) رمزية الماء في التراث الشعري العربي، مصدر سابق: ٨٨.

(٢) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ٨٤.

ومودتها، فرمز هذا الوصف السلبي للماء لا يعني ان الشاعر يميل الى الكدر والتلون والرضى بالقذارة، انما يدل على مدى اشتياقه لامراته ورغبته في الحفاظ على مودتها حتى ولو كان ثمن ذلك شرب الماء الكدر، والرضى بالعيش في القذارة والوسخ من اجلها هي فقط"⁽¹⁾.

ثانيا: البعد الوصفي: الماء رمز الجمال

إن الشعر مهما كانت دلالاته أقرب الى الوضوح، إلا أنه لا بد وأن يحمل بين طياته رمزا يثير في المتلقي الرغبة في فك شيفراته ورموزه. والرمز بأبسط تعريفاته " كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريقة المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو وجود علاقة عرضية أو متعارف عليها"⁽²⁾.

إن ما يعنى به هذا المحور هو الدلالات الرمزية المائية التي وظفها الشاعر في وصف محبوبته " ذلك الرمز الذي يبتكره الشاعر ابتكارا محضا أو يقتلعه من حائطه الأول، أو منبته الأساس، ليفرغه جزئيا أو كليا من شحنته الرمزية الأولى، ثم يملأه بدلالة شخصية أو مغزى ذاتي مستمد من تجربته الخاصة، وفي كلتا الحالتين يصبح الرمز ذا نكهة شخصية يغدو مفتاحا يساعد على فهم تجربة الشاعر"⁽³⁾.

إن للماء بتجلياته المتنوعة وصوره المختلفة حضورا رمزيا وفيرا في بنية النص الشعري عند جميل بثينة واستحضاره بصيغ متعددة يضعنا أمام تجربة قراءة النص والكشف عن مضامينه الجمالية ليس من خلال معانيه الرئيسية الواضحة فحسب بل بما موجود داخل النص من الارتكاز على مقصدية المعنى بما يساعد المتلقي في فهم الدلالة. فالماء اسطورة التكوين الأولى وحركة الوجود وكيونته التي لا تتوقف وقد اكتسب الماء قدسية دينية خاصة تتعلق بغسل الجسد وتنظيفه مما يعلق به من أوساخ، كما أنه

(1) رمزية الماء في التراث الشعري العربي، مصدر سابق: ٩٢.

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤: ١٨١.

(3) في حادثة النص الشعري، علي جعفر العلاق، عمان، الأردن، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٣: ٤٧.

دلالة الطهارة التي يستوجبها الايمان ويحث عليها الإسلام، وهو من شروط أداء العبادات، فهو يرتبط بكل ما هو إيجابي. ولطالما الفينا الشاعر يستحضر هذا العنصر الذي يحمل في تكوينه دلالات خاصة وعميقة. وكثيرا ما نجد امتزاج الحب عند جميل " بجمال الماء في صورته المختلفة، لأن الحب بامتزاجه بالماء، هو طريق الشاعر في الارتقاء الى جنة الحب المثالية"⁽¹⁾.

وجميل من الشعراء العذريين الذين يقدسون الحب والمحبة، ويحاولون الارتقاء بالمحبة الى مستوى السمو، ويمنحونها من الصفات ما يقترب بها من الكمال، وإذ يتمتع الماء بهذه السمات " فقد حفل الشعر العربي بالماء بوصفه مكونا من مكونات الحياة والوجود، فإذا استقرأنا المتون القديمة، إلا ووجدنا في كل متن فيها علامة لغوية دالة على الماء سواء من قريب أو من بعيد كوصف المطر والسحاب والبرق وغيرها من المظاهر الطبيعية المشكلة للماء فلا عجب إن وجدنا كل هذه الاوصاف، وهذا الاهتمام بالماء إذ عرفنا أن هذا الشاعر كان يعيش في مكان اسمه الصحراء، هذا المكان الذي لا يقابله اسم إلا اسم الماء"⁽²⁾.

ارتبط ذكر المرأة رمزيا بالخصب والنماء، ذلك أن ثغرها انعكاس لفكرة المطر والماء وهي تمنح المطر من ثغرها فتمنح الحياة والخصب، فالارتباط هذا يشكل أفكارا يتداخل بعضها مع البعض الآخر ويتولد عنها. وكل ذلك تحكمه فكرة ري عطش الحب الصادق، والرغبة في بل ذلك الصدا. بالوصل يزهر الحب وتزهر معه الحياة وتدوم. ضمن إطار جامع تجتمع كل هذه الدلالات لتصب في دلالة موحدة تفضي الى أن المرأة سر الحياة وخصوبتها إنها تجمع " مظاهر الجمال وصوره، فلا يشهد غيرها في حياته

(1) رمزية الماء في التراث الشعري العربي، مصدر سابق: ٨٩.

(2) حضور الماء في الشعر الجزائري المعاصر، احمد قيطون، مجلة مقاليد، العدد (٣)، ديسمبر ٢٠١٢:

الرتيبة، وهي لذلك تكون محور اهتماماته النفسية ووثباته العاطفية، ان الجمال يخفق في اشراق وجهها وصور عينيها وطول جيدها واعتدال قامتها⁽³⁾.

قال جميل بثينة حين بلغه ان مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبل عبد الملك بن مروان يطارده، وكان أهل بثينة قد استعدوه عليه، يقول في مطلعها⁽¹⁾

- أتاني عن مروان، بالغيب، أنه
- مقيد دمي، أو قاطع مني لسانيا
- ما أحدث النأي المفرق بيننا
- سلواً ولا طول اجتماع تقاليا
- ولا زادني الواشون السا صباية
- ولا كثرة الواشين السا تماديا
- الم تعلمي يا عذبة الريق انني
- اظل إذا لم الق وجهك صاديا؟
- لقد خفت ان القى المنية بغتة
- وفي النفس حاجات اليك كما هيا

تجلى ثغر الحبيبة علامة مميزة على انوثتها، فقد احتل مكانة مميزة في شعر الغزل العذري، وذلك لما فيه من دلالات قدسية ترجع الى الأساطير وتمتد الى عصور متقدمة، شكلت هذه الدلالات ثابته نتجت عنها دلالات أخرى تبعا للتطور الحاصل في حياة الانسان على مر العصور وقد استثمر الشعراء هذه الدلالات وعبروا عنها بلغتهم الخاصة، فغدت رموزا اضفت على نتاجهم الشعري رونقا ذلك أن الشعر ينشأ "في عالم رمزي فاللغة والاسطورة والفن والدين هي عناصر من هذا العالم، انها جميعا خيوط مختلفة تخلق نسيج الرمزية ... وكل تقدم في فكر الانسان وتجربته يعقد هذا النسيج ويقويه"⁽²⁾. ونجد أن جميل يصف حبيبته بعذوبة الريق التي تماثل الماء الذي تدره السحب عذوبة وصفاء، وهي من أسمى الصفات التي ممكن ان تتحلى بها المرأة، فعذوبة الريق تمتزج فيها دلالات الشرف والسمو مع دلالة دينية تتجسد في النظافة، فعندما

(3) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٥٩:

(1) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ١٢٩.

(2) دروس في السيميائيات، مبارك حنون، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال، ط١، ١٩٨٧: ٨٢.

يصف جميل محبوبته بهذه الصفة فإنه بهذا الوصف يرتقي بها الى أعلى درجات الكمال وفي نص آخر يضيف على محبوبته أجمل الصفات، فيقول^(٣):

- وانت كلؤلؤة المرزبان بماء شبابك، لم تعصري
- قريبان مربعنا واحد فكيف كبرت ولم تكبري؟

فكرة الشباب الابدي فكرة اسطورية تتعلق بفكرة الخلود الأسطورية، يلقي جميل على محبوبته ظلالات اسطورية من خلال إضفاء وصف الشباب الدائم عليها، مستعينا بالرمز المتمثل بلؤلؤة المرزبان التي كانت من الحلى التي يمتلكها ملك الفرس، فامتزج الرمز بالأسطورة لينتجا معا صورة طريفة تجعل من بئينة رمزا أو اسطورة جديدة " وليس غريبا ان يستخدم الشاعر الرموز والاساطير في شعره، فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر ترشح لهذا الاستخدام"^(١).

وفي صورة أخرى يرينا الشاعر جمال بئينة عن طريق ابتسامتها^(٢):

- حلت بئينة من قلبي بمنزلة بين الجوانح لم ينزل بها أحد
- صادت فؤادي بعينها ومبتسم كأنه حين ابدته لنا برد
- عذب كان ذكي المسك خالطه والزنجبيل وماء المزن والشهد

يرفد جميل شعره بتفاصيل تبين صفات محبوبته ويختار تلك التفاصيل بعناية فنلاحظ ان وصفه يرسم معالم محبوبته بدقة متناهية وهذا من سمات الوصف الجيد الذي " يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى لكأنه يصور لك الموصوف فتراه نصب عينيك"^(٣). والشاعر اذ يبث مشاعره من خلال وصف الحبيبة لا ينفك يستثمر دلالات الماء رمزا يثري هذا الوصف " فالشاعر في رؤيته الفنية ولغته الشعرية عارفا بتفاصيل بيئته، ملما

^(٣)ديوان جميل بئينة، مصدر سابق: ٦٤.

^(١) الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، عز الدين إسماعيل، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت: ١٩٥.

^(٢)ديوان جميل بئينة، مصدر سابق: ٥٣.

^(٣) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٢: ١٢٨.

بجزئياتها وملامحها بشكل احترافي لا يمتلكه الكثيرون ولهذا يكون تعبيره مختلفا عن غيره.

ومن جمال ما وصف به جميل محبوبته بثينة⁽⁴⁾:

- يكاد فضيض الماء يخدش جلدها إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
- واني لمشتاق الى ريح جيبها كما اشتاق ادريس الى جنة الخلد

عمد الشاعر في هذا المقام إلى انتقاء المعاني ونظمها بقلب لغوي لتشكيل صورة للحبيبة ترتقي بها الى الرفعة والسمو من جانب، ومن جانب آخر تبين مدى الحب والاهتمام الذي تحظى بهما هذه الحبيبة في قلبه، فيصل به هذا الحب الى خوفه عليها من ابسط الأمور؛ لفرط رقتها "ان خدش جلد الحبيبة بمجرد لمس فضيض الماء له يدل على خوف الشاعر الهستيرى عليها من الأذى دلالة واضحة على نجاح شعره في الوصول الى المستوى الراقى في الرمزية لان هذه الرمزية إشارة خفية الى قوة العشق الذي ينشده الشاعر فيتحد بالحب الإنساني الذي يدعو الى تجاوز الكره والحقد والصراع. هنا ينشغل المتخيل الخصب عند الشاعر بوصفه ملكة الابداع والخلق الفني الذي يمد به بمعجم لغوي مجازي كبير حيث يرمز الشوق الى الحبيبة الى ايمان الشاعر بالكلمة التي تعبر عن الحب الحقيقي، فيوحي الماء ومشهد الاغتسال بصورة ايحائية تعكس الدعوة الى سمو بالروح والمشاعر الإنسانية الى النور والجمال والحب"⁽¹⁾. كما أن رقة جلد الحبيبة فيه دلالة واضحة على رفعتها وسموها وأنها من علية القوم، منعمة لم يخشن جلدتها العمل أو أشعة الشمس.

ديوان جميل بثينة انما هو واحة حب تحمل الوانا تتوهج أحيانا وتبهت أخرى، وإنما يتجلى توهجها حين يصف جميل محبوبته، فيحيطها بأجمل الاوصاف وينتقي لها الانقى، ومما قاله في وصفها⁽²⁾:

- حلفت لكيما تعلميني صادقاً وللصدق خير في الأمور وانجح

(4) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ٤٣.

(1) رمزية الماء في التراث الشعري العربي، مصدر سابق: ٩١.

(2) ديوان جميل بثينة، مصدر سابق: ٢٧.

- لتكليم يوم من بئينة واحد
- من الدهر لو اخلو بكن وانما
- ترى البزل يكهن الرياح اذا جرت
- بذى أشر كالأقحوان يزينه
- الذ من الدنيا لذي واملح
- اعالج قلبا طامحا حيث يطمع
- وبئينة ان هبت بها الرياح تفرح
- ندى الطل الاله هو املح

إن ميزة العمل الفني يتمثل في تفوقه جمالا ونظما عن الطبيعة التي يستثمرها، فالمحاكاة لا بد وأن تفوق الأصل حسنا وتناسقا ذلك أن "مظاهر الطبيعة المفككة التي لا تحتويها إطار، تخلق استجابة انفعالية لدى الشاعر، فيشكل من معطياتها الحسية علاقات جديدة تنتظم في إطار جمالي يترجم الانفعالات وينبض بالحياة، ومن ثم يثير في المتلقي الإحساس بالمتعة التي لم تكن لتتحقق وهو ينظر إلى مظاهر الطبيعة نظرة نفعية عابرة. وبذلك تتحقق الموازنة والموازنة بين الذات الشاعرة والطبيعة الملهمة، فالشعر يوازي الواقع ولا يطابقه، والصور الشعرية ليست واقعاً حرفياً، بل واقع معدل بفعل الخيال. إن إدراكنا للأشياء في إطار العمل الفني يختلف عن إدراكنا لها في الطبيعة، ففي الحالة الأولى يكون الإدراك جمالياً، وفي الحالة الثانية يكون الإدراك نفعياً. فقد يشاهد الإنسان حيواناً كريهاً، فينقزز منه، ولو شاهد صورة منقوشة له لحصلت له أسباب المتعة، ويحدد ابن سينا علة ذلك بالمحاكاة المتقنة"⁽¹⁾. فالشاعر يجعل من ثغر الحبيبة منبعاً للطيب من الشراب، ثم يزين هذا الطيب بطل الندى فتتداخل الأوصاف لتضفي على الحبيبة ملامح اسطورية، فيظهر التعبير الشعري بهذه الصيغة وكأنه "فكرة داخل فكرة، فكرة ارواء عطش الحب الضامئ او رغبة في ارواء عطش الأرض وبيسها الذي يعم الجزيرة العربية وقد اختلطت الفكرتان في ملامح لوحة ثغر المرأة الحبيبة، فأصبحت منطلقاً شخصياً عبر عن تجربة الشاعر العربي بخاصة، وتجربة الانسان العربي بعامه، وعكست هاتان الفكرتان التطلع الإنساني نحو الخصب والنماء والارواء وهي مصادر مهمة لديمومة الحياة وازدهارها في بيئة العرب القاسية، ولذلك احتلت مساحة صورة المطر والماء والخمر والعسل وطيب الرائحة مناطق جوهرية واسباسية في لوحة ثغر المرأة"⁽²⁾.

(1) النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، بيروت، لبنان، دار العودة، ١٩٧٣: ٣٠.

(2) ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، مصدر سابق: ٧٠.

إن الذي يميز شعر العذريين الاهتمام الواضح بتصوير ثغر المرأة منبعاً لإرواء الظمأ، ويمكن القول أن هذا الوصف إنما له دلالات رمزية تقضي إلى إرواء عشقهم الظامئ إلى لقاء لم يتحقق، وأواصر حب مقطوعة.

الخاتمة:

إن حضور الماء في الشعر العربي قديمه وحديثه شكل ظاهرة تستحق الدراسة، وذلك لما يمتلكه هذا العنصر الحيوي من دلالات متجذرة في عمق الوعي الإدراكي للإنسان، فقد ارتبط الماء بالوجود منذ الأساطير الأولى امتداداً إلى يومنا هذا، وقد أخذنا نموذجاً من الشعر العربي استثمر عنصر الماء في الغزل العذري تمثل بالشاعر الأموي جميل بثينة، وقد خرجنا من هذا البحث بنتائج نلخصها بالآتي:

١- شخص الشاعر مظاهر الطبيعة المائية كالسحاب والغيم والقطر وغيرها ، وقد عكس عليها الشاعر مشاعره الخاصة، ووظفها في وصف العلاقة التي تجمعها بحبيبته. إذ شكل الماء في الشعر العربي منبعاً ثراً للدلالات التي تداخلت فيها الأساطير بالرموز لتخلق فضاء يتعالق فيه إحساس الشاعر وصفات محبوبته وحزنه وفرحه بمظاهر الطبيعة.

٢- على الرغم من تنوع المعاني وتعددتها في الشعر الأموي وبخاصة في شعر الغزل العذري، إلا أن لوحة ثغر المرأة احتفظت بالدلالات والمعاني التي انتقلت عبر العصر الإسلامي من الجاهلي وصولاً إلى العصر الأموي، فقد ارتبط ثغر المرأة بالخصب والنماء وارتبط بشكل واضح بالمطر وفكرة الإرواء. فكان ثغر الحبيبة ثيمة معادلة لمصدر الماء العذب الذي يمنح الارتواء ويعطي للحياة خصوبتها ونمائها.

٣- اتسمت طبيعة العلاقة التي عاشها جميل مع حبيبته بالجفاء والبعد، واحتمالية الفناء في أية لحظة، فلجأ الشاعر إلى عنصر الماء لخلق نوع من التوازن في هذا العالم، ليمنح ذاته نوعاً من الأمل في ربي هذا الجفاف وإنعاش هذا الحب، وإنماءه، فهذا التوظيف جاء بمثابة رد فعل على حياته المجذبة.

٤- نجد بعض الرموز في شعر جميل تتداخل وتتقاطع لتشكّل مع مرموزاتها عالماً موحداً يحمل إشارة إلى قوة العشق الذي ينشده الشاعر. فنجد المتخيل الخصب الذي يمدّه بمعجم لغوي مجازي واسع، يساعده في توظيف المفردات للدلالة على المعاني التي يروم بثها.

The Meanings of Water in Jameel & Buthaina Poetry

Lect.Dr. Jumana Muhammad Nayef Al-Dulaimi

Abstract

In Arab literature, we often find manifestations of the relationship between nature and poetry present and intensively, and this may be due to the formative structure of the Arab personality and the surrounding effects of nature. The essential relationship that binds the Arab with his environment, and if we look at Arab poetry, we will encounter many symbols of nature that poets employed in their literary products, ancient and modern, and we were stopped by a group of structures that relate to and exchange effects to produce the structure of the poetic text that gives to the physical elements a kind of ambiguity that embodies their implications Symbols, that the human being is attracted by his composition towards ambiguity and ambiguity in an attempt to raise the contents of his texts towards distant horizons and give his literary product wide areas for spreading and influencing the recipient, to open later on to countless interpretations.

Key words: Jameel Buthaina_nIndications of Water _ Spinning